السَّنة الثالثةُ والسبعون بعد المئة

فيها توفِّيت **الخَيزُران، ومحمدُ بن سليمانَ** والي البصرة.

وفيها حبس هارونُ موسى بنَ جعفر بن محمد بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ عليه السلام، وحجَّ الرشيدُ في هذه السَّنة، فأَقدمه معه إلى بغداد، فحبسه إلى أن مات.

وقال الصُّولي: أَجرى عليه في كلِّ سنةٍ ثلاثَ مئةِ ألف درهم، ولبركةَ في كلِّ شهرٍ عشرين ألفَ درهمٍ إلى أن مات في حبسه.

وقال النَّوفلي: وضع هارونُ ابنَه محمداً في حجر جعفرِ بن محمدٍ الأشعث، فساء ذلك يحيى بنَ خالد، وقال: لو مات هارونُ وأَفضى الأمرُ إلى محمدٍ انتقضت دولتُنا وتحوَّل الأمرُ إلى جعفر بنِ محمدٍ وولده، وقد كان يحيى عرف مذهبَ جعفرٍ في التشيُّع، فأَظهر له أنَّه على مذهبه، فأَنِسَ به جعفرٌ وأَطلعه على أمره وذكر له رأيَه في موسى بنِ جعفر، فسعى به إلى هارون، وكان هارونُ يرعى له موضعَ أبيه من الخلافة، فكان يقدِّم في أمره ويؤخِّر، ويحيى لا يألو جهداً في جعفر، ثم إن هارونَ أمر لجعفرٍ بعشرين ألفَ دينار ، فقال يحيى لهارون: إنَّ خُمس ما يصير لجعفرٍ يدفعه إلى موسى بنِ جعفر، وعلم جعفرٌ بسعاية يحيى به، فاحترز، فأرسل هارونُ إلى جعفرٍ يستدعيه، فاغتسل وتحنَّط، ولبس كفنَه تحت ثيابه، فلمَّا دخل على هارونَ شمَّ منه رائحةَ الطِّيب، فقال: ما هذا؟ فقال: قد علمتُ أنه سُعي بي إليك حسداً لي فقلت: ما طلبني في هذه الساعةِ إلا ليقتلَني، فتحنَّطت كما ترى، فقال: كلَّا، ولكن أُخبرت أنَّك تبعث إلى موسى بخُمس مالِك، فأحببت أن أعلمَ صحَّة ذلك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ابعث بعضَ خدمِك إلى فلانةَ يطلب منها المال، فأرسل الخادم، فأرسلت الجاريةُ العشرين ألفَ دينار بخواتيمها، فأَحضرها بين يدي هارون، فقال هارون: اِرفعها، فواللهِ لا سمعتُ فيك كلامَ أحدٍ بعد اليوم، ثم حجَّ هارونُ في هذه السنةِ وأَحرم من بغداد، ودخل مكَّة والمدينة، ووصل أهلَ الحرمين بأموالٍ عظيمة، ولَمَّا قفل عن المدينة، صحب معه موسى بنَ جعفر إلى بغدادَ لشيءٍ بلغه عنه فخافه، وقيل له: لا بدَّ له من الخروج عليك.

فصل وفيها توفِّيت

الخَيزُران جاريةُ المهدي أمُّ الهادي والرشيد

وكانت جُرَشية، اشتراها المهديُّ فأَعتقها وتزوَّجها.

وسأل رجلٌ الخيزران حاجةً وبعث إليها بهديَّة، فبعثتْ إليه: إن كان ما بعثتَ به إليَّ من هديَّتك ثمناً لرأيي فيك فقد بخستَني القيمة، وإن كان استزادةً فقد استغششتَني[1] في المودَّة. ثم ردَّت عليه الهدية.

قال الصُّولي: وصاحبُ الهديةِ محمدُ بن سليمان، أهدى لها مئةَ وصيف، بيد كلِّ وصيفٍ جامٌ من ذهبٍ مملوءٌ مِسكاً.

وكانت الخَيزُران عاقلةً لبيبة، صالحةً متصدقة، وغلَّتها في كلِّ سنةٍ ستةُ آلافِ ألفٍ وستُّون ألفَ ألفِ درهم[2]، فكانت تُنفقها في الصدقات وأبوابِ البِرّ، وكانت وفاتُها ليلةَ الجمعة لثلاثٍ بقين من جُمادى الآخرة، ومشى هارونُ في جنازتها وعليه طَيلسانٌ أزرقُ قد شدَّ به وسطَه، وأخذ بقائمة السريرِ حافياً يخوض في الطين حتى أتى مقابرَ قريش، فغسل رِجليه وصلَّى عليها، ودخل قبرَها، ثم خرج فتمثَّل بقول متمِّم[3]: [من الطويل]

وكنَّا كندمانَي جَذيمةَ حِقبةً

الأبيات: ثم تصدَّق عنها بمالٍ عظيم، ولم يغيِّر على جواريها وحاشيتها شيئاً.

وقالت زينبُ بنت سليمانَ بنِ علي: حدَّثتني الخيزرانُ قالت: حدَّثني أميرُ المؤمنين المهديُّ، عن أبيه، عن جدِّه، عن ابن عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن اتَّقى اللهَ وقاه اللهُ كلَّ شيء»[4].

---

(١) في (خ): استغشيتني. والمثبت من المنتظم ٨/ ٣٤٧، وفي البداية والنهاية ١٣/ ٥٧١: فقد اتهمتني في المودة.

(٢) قال المسعودي في مروج الذهب ٦/ ٢٨٩: مئة ألف ألف وستون ألف ألف درهم، ونقل الذهبي في تاريخ الإسلام ٤/ ٦١٥ عن المسعودي أن مغلها مئتا ألف وستون ألفاً، وفي المنتظم ٨/ ٣٤٨: ألف ألف وستون ألف درهم، وفي البداية والنهاية ١٣/ ٥٧١: ألف ألف وستون ألفاً.

(٣) هو متمم بن نويرة، كما في المنتظم ٨/ ٣٤٨، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٧١ ـ ٥٧٢، وعجزه:

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه ١٦/ ٦١٦.

غادِر، جاريةُ الهادي

كانت بارعةَ الجمال، فبينا هي تغنِّيه يوماً، عرض له فكرٌ فغيَّر لونَه، فسأله مَن حضر عن ذلك، فقال: وقع في خاطري أنَّني أموت ويتزوَّجها أخي هارون. ثم أمر بإحضار أخيه واستحلفه بالأَيمان المغلَّظة من الطلاق والعتاقِ والحجِّ ماشياً أنه لا يتزوَّجها بعده، واستحلفها كذلك، ولبث أقلَّ من شهرٍ ومات، فأرسل إليها هارونُ يخطبها، فقالت له: وكيف بيميني ويمينك؟! فقال: أكفِّر عن الكلّ. فتزوَّجته، فزاد حبُّه لها على حبِّ أخيه، حتى إنَّها كانت تنام فتضع رأسَها في حجره فلا يتحرَّك حتى تنتبه، فبينا هي ذاتَ يومٍ نائمةٌ ورأسُها على ركبته، انتبهت فَزِعةً تبكي، فقال: ما الذي بك؟ قالت: رأيتُ الساعةَ أخاك وهو يقول: [من مجزوء الكامل]

أَخـلـفـتِ وعـدي بـعـدمـا ... جـاورتُ سـكَّـانَ الـمـقـابـرْ

ونـسـيـتـنِـي وحـنـثـتِ[1] فـي ... أَيـمـانـك الـكَـذِبِ الـفـواجـر

ونـكـحـتِ عـامـدةً[2] أخـي ... صَـدَقَ الـذي سـمَّـاكِ غـادر

لا يَـهْـنِـكِ الإلـفُ الـجـديـ ... ـدُ ولا تَـدُرْ عـنـكِ الـدوائـر

ولـحـقـتِ بـي قـبـلَ الـصَّـبـا ... حِ فـصـرتِ حـيـث غـدوتُ صـائـر

ولم تزل تبكي وتضطرب حتى ماتت بين يديه وهو يقول لها: أضغاثُ أحلام، فدفنها، ونغَّصت عليه عيشَه.

محمدُ بن سليمانَ

ابن عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس، أبو عبدِ الله الهاشمي. وأمُّه أمُّ حسنٍ بنتُ جعفر بن حسن بن حسن بن عليٍّ عليه السلام. وكان من وجوه بني العباسِ وأشرافهم، وُلد بالحُمَيمة من أرض البَلقاءِ سنة اثنتين وعشرين ومئة، وكان جليلاً نبيلاً جوَاداً ممدَّحاً، عظيمَ بيته وجليلَ أهله.

ولَّاه أبو جعفرٍ الكوفةَ والبصرةَ مرتين، ووليها للهادي والرشيد، وقدم على الرشيد

(١) في (خ): وخنت، والمثبت من المنتظم ٨/ ٣٤٩، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٧٢.

(٢) في المنتظم والبداية والنهاية: غادرة.

معزِّياً له في أخيه موسى ومهنِّئاً له بالخلافة، فأنزله الرشيدُ وأكرمه وعظَّمه واحترمه، وفعل في حقِّه ما لم يفعلْه مع غيره، وزاد على ولايته كورَ فارسَ والبحرين وعُمان واليمامةَ والأهوازَ وكور دِجلة، ولم يجمعْ هذا لغيره، ولما أراد الخروجَ إلى البصرة شيَّعه الرشيدُ إلى كَلْواذى. وهو الذي زوَّجه المهديُّ ابنته، ونقلها إلى البصرة إليه، وكان له خاتمٌ من ياقوتٍ أحمرَ لم يُرَ مثله، فسقط ليلةً من يده، فطلبوه فلم يجدوه، فقال: أَطفئوا الشمع، ففعلوا فرأوه. وكان له خمسون ألفَ عبد، منهم عشرون ألفاً عِتاقة، وكانت به رطوبة، فكان يتداوى بالمِسك، يستعمل منه كلَّ يومٍ عشرين مثقالاً ويتركه في عُكَن بطنه، وكانت غلَّته في كلِّ يومٍ مئةَ ألفِ درهم، وكان يصعد المنبرَ في البصرة، وكان له لسانٌ فيأمر بالعدل والإحسانِ مع ظلمه، فيقول أهلُ البصرة: ألا ترون ما نحن فيه مع هذا الظالمِ الجائر وما يأمر به! فاجتمعوا إلى أبي سعيدٍ الضُّبَعي وقالوا: كلِّمه، فلما صعد المنبرَ قام إليه وقال: يا ابنَ سليمان، لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟ يا محمدَ بنَ سليمان، ليس بينك وبين أن تتمنَّى أنك لم تُخلَق إلَّا أن يدخلَ مَلَكُ الموتِ من باب بيتك. فخنقتْ محمدَ بن سليمانَ العَبرةُ فلم يقدر أن يتكلَّم، فقام أخوه جعفرٌ إلى جانب المنبرِ فتكلَّم عنه، فأحبَّه النسَّاك حين خنقته العَبرةُ وقالوا: مؤمنٌ مذنب.

وقدم عليه جماعةٌ من الشعراء[1]، فأقاموا ببابه مدَّةً ولم يصلوا إليه، فكتب إليه الخليلُ بن أحمد[2]: [من الكامل]

لا تقبلنَّ الشِّعرَ ثم تَعِيفه[3] ... وتنام والشعراءُ غيرُ نيامِ
واعلم بأنَّهمُ إذا لم يُنصَفوا ... حكموا لأنفُسهمْ على الحكَّام
وجنايةُ الجاني عليهمْ تنقضي ... وهجاؤهمْ باقٍ على الأيَّام

فأَجازهم وأحسنَ إليهم.

(١) في العقد الفريد ٥/ ٣٠٥، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٦١ أنهم أنشدوا جعفر بن سليمان أخاه.

(٢) قال ابن عساكر: وقد رويت هذه الأبيات لابن الرومي. اهـ. ورويت له أيضاً في زهر الآداب ٢/ ٦٤٦، وهي في ديوانه ٦/ ٢٣٩٢ ضمن قصيدة.

(٣) في المصادر: تعقه.

ذِكرُ وفاته:

لَمَّا احتضر كان رأسُه في حجر أخيه جعفرِ بن سليمان، فقال جعفر: واانقطاعَ ظهراه! فقال محمد: واانقطاعَ ظهرِ مَن يلقى الجبَّارَ[1] غداً! يا ليت أمَّك لم تلدني، وليتني كنت حمَّالاً وأنِّي لم أكن فيما كنت فيه.

وكانت وفاتُه بالبصرة في اليوم الذي توفِّيت فيه الخَيزُران ببغداد، وهو ابنُ إحدى وخمسين سنةً وأَشهُر.

وقال ابنُ جَرير[2]: بعث الرشيدُ رجلاً يصطفي ما خلَّف من الصامت، ورجلاً يقبض الكسوة والفُرُش، ورجلاً إلى الرقيق والدواب، ورجلاً إلى الطِّيب والجواهر، فأصابُوا له من المال ستِّين ألف ألف درهم، وأخرجوا ما كان يُهدى إليه، حتَّى الدهن والسمك، فوجدوهُ قد تغيَّر، فألقوه في الطرقات، فأنتنت الطُّرقات.

وقال الصوليّ: إنَّ الرشيدَ فضَّ ما خلَّفه، فكان من العين ثلاثةَ آلاف ألف دينار، ولم يعترض الضياعَ ولا الدورَ ولا الجواهرَ ولا الفرشَ ولا الكسوةَ.

قال الطبريّ: إنهم حملوا ما كان يصلحُ للخلافة، ولم يتركوا إلَّا الذي لم يصلح، فلمَّا وصلت السفن إلى بغداد، أمرَ الرشيدُ أن يُدْخَل ذلك خزانته، إلَّا المال ـ وكان ستين ألف ألف درهم ـ فإنَّه أمر بصكاك فكُتبت للندماء والمغنِّين، فأخذوا الجميع من السفن، ولم يدخل إلى بيت ماله منها درهمٌ ولا دينار[3].

وكان له مئة ألف دابَّة ما بين فرشٍ وبغلٍ وجملٍ وحمار، ولم يَتْرُكْ أحدٌ من الأكاسرة وبني أمية وبني العباس وغيرهم مثلَ ما ترك، وكانت الهدايا تأتيه من الهند والسند والصين وكِرْمان، وفارس والأهواز، وخراسان وما وراء النهر، واليمن واليمامة، والحجاز والشام والمغرب، وغير ذلك.

وقيل: إنَّ هارون اصطفى الجميعَ لنفسه، ولم يُعطِ ورثتَه شيئاً.

وقيل: إنَّ هارون أخذَ منه عشرة آلاف فرس، وعشرة آلاف بغل، ومن كل صنفٍ ونوعٍ عشرة آلاف.

---

(١) في تاريخ دمشق ٦٢/ ١٩٩: الحساب.

(٢) في (خ): ما خلف. ولعله سهو، والكلام في تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٧، وانظر المنتظم ٨/ ٣٥١.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٧.

ولما دُفِن محمد بن سليمان خرجت جاريةٌ من جواريه، فوقفت على قبره وقالت: [من الكامل]

أمسى التراب لمن هَوِيتُ مَبِيتا ... الْقَ الترابَ وقل له حُيِّيتَا
إنَّا نحبُّك يا ترابُ وما بنا ... إلَّا كرامةُ من عليه حُثِيتَا[1]

وقد أخرج الخطيبُ له حديثاً قال محمد بن سليمان: حدَّثني أبي، عن جدِّي الأكبر، يعني عبد الله بن عباس، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «امسحْ على رأسِ اليتيم هكذا؛ إلى مُقَدَّمِ رأسِه، ومن له أبٌ؛ هكذا إلى مؤخَّر رأسِه»[2].

هيلانة جاريةُ الرشيد

كان شديد الحبِّ لها، وكانت قبلَه ليحيى بن خالد، وكان الرشيد قبل الخلافة يَمضي إلى دار يحيى، فلقيَتْهُ في ممرٍّ، فأخذت بكمِّه وقالت: ما لنا فيك نصيب؟ قال: وكيف السبيل إليك؟ قالت: تأخذُني من هذا الشيخ، فطلبها من يحيى، فوهبَها له، فغلبت عليه، وأقامت عنده ثلاث سنين، ثم ماتت، فوجدَ عليها وجداً شديداً، وقال فيها: [من السريع]

قد قلت لَمَّا ضمَّنوك الثرى ... وجالت الحسرةُ في صدرِي
اذهبْ فلا والله لا سرَّني ... بعدَك شيءٌ آخرَ الدهرِ

وقال العباس بن الأحنف يرثيها: [من الكامل]

يا مَنْ تباشَرت القبورُ بموتها ... قَصَدَ الزمانُ مَساءتي فرماكِ
أبغي الأنيسَ فلا أرى لي مُؤنساً ... إلَّا التردُّدَ حيث كنتُ أراكِ
مَلِكٌ بكاكِ وطالَ بعدكِ حزنُه ... لو يستطيع بملكِه لفداكِ
يحمي الفؤادَ عن النساءِ حفيظةً ... كيلا يحُلَّ حمى الفؤادِ سواكِ

فأعطاه الرشيد أربعين ألفاً، وقال: لو زدتَ لزدناك، يعني عن كلِّ بيتٍ عشرةَ آلاف درهم[3].

---

(١) المنتظم ٨/ ٣٥٢.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦، ومحمد بن سليمان ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ١٣٨، ونقل عن العقيلي قوله: ليس يعرف بالنقل، وحديثه هذا غير محفوظ.
ثم ذكر الذهبي الحديث وقال: هذا موضوع.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٤١٤ ـ ٤١٥، والمنتظم ٨/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣.